GENÇ MÜTEFEKKİRLER DERGİSİ

JOURNAL OF YOUNG INTELLECTUALS

e-ISSN: 2718-000X

Yıl: 5, Cilt: 5, Sayı: 1

Mart -2024

MAKALE BILGILERI

ŞİİRÜ'L-FUTUHÂTİ'L-İSLÂMİYE, EL MÂHİYE VE'L-HASÂİS VE'L-MADÂMÎN

شعر الفتوح الإسلامية الماهية والخصائص والمضامين

YAZAR

Hasan HAFİDİ

Dr. Iğdır Üniversitesi

hassanhafidi6@gmail.com,

ORCID: 0000-0002-1192-4941

Yayın Bilgisi

Yayın Türü: Araştırma Makalesi

Makale Geliş Tarihi: 14.02.2024

Makale Kabul Tarihi: 07.03.2024

Sayfa Aralığı: 189-208

شعر الفتوح الإسلامية
الماهية والخصائص والمضامين

الملخص

يتناول هذا البحث شعر الفتوح الإسلامية، فيقوم بتعريفه على أنه هو الشعر الذي قاله أو نظمه شعراء الفتح الإسلامي، وهم الشعراء الذين شاركوا في الحروب والفتوح في بداية عهد الإسلام وفي عهد الخلفاء أيام بداية اتساع البقعة الإسلامية وما تبعها من فتوح، ويجيب عن سؤال ماهية الشعر الذي تناول الفتوحات، حيث إنه يعبر عن الحماسة والروح القتالية لدى المجاهدين، ويمجد بطولاتهم في المعارك والانتصارات، كما يشير لمضامينه وخصائصه وموضوعاته، ويجيب عن سؤال أين نجده، حيث إنه مبثوث في كتب الشعر والتاريخ والأدب والتراجم؛ ثم يعرض البحث إلى من برز في هذا اللون من الأدب، وعلى رأسهم القَعْقاع بن عَمْرو التّميمي، وعَمْرو بن مَعْدِ يكْرِب الزّبِيدِيّ، وغيرهم.. وكيف برعوا في هذا النوع من الشعر.

الكلمات المفتاحية:

شعر الفتوح، الفتوحات الإسلامية، القَعْقاع التّميمي، شعر الحروب.

ÖZET

Bu araştırmada, İslam fetihlerinin şiiri ele alınmakta, tanımlanmakta ve İslam fetih şairlerinin söylediği ya da bestelediği şiirler olduğu ve bunların fetihlerin başlangıcında savaşlara ve fetihlere katılan şairler olduğu söylenmektedir. İslam devrinde ve halifeler devrinde İslam coğrafyasının yayılmaya başladığı ve bunu takip eden fetihlerin olduğu günlerde.

Mücahitlerin coşkusunu ve mücadele ruhunu ifade ettiği, savaş ve zaferlerdeki kahramanlıklarını yücelttiği için fetihleri konu alan şiirin doğası sorusuna cevap verir.

Aynı zamanda şiir, tarih, edebiyat ve biyografi kitaplarına dağılmış olması nedeniyle içeriğini, özelliklerini ve konularını sunmakta ve onu nerede bulduğumuz sorusuna cevap vermektedir. Daha sonra araştırma, El-Kâkâ' bin Amr Et-Temîmî, Amr bin Ma'di Yekrib Ez-Zübeydî ve diğerleri de dâhil olmak üzere bu tür edebiyatta başarılı olanları ve bu şiir türünde nasıl başarılı olduklarını ortaya koyuyor.

Anahtar kelimeler:

Fetih şiiri, İslam fetihleri, El-Kâkâ’et-Temîmî, savaş şiiri.

ABSTRACT

In this research, the poetry of the Islamic conquests is discussed and defined and it is said that these are the poems sung or composed by the poets of the Islamic conquests and that these are the poets who participated in the wars and conquests at the beginning of the conquests. In the

days when the Islamic geography began to spread during the Islamic era and the era of the caliphs and the conquests that followed.

It answers the question of the nature of poetry about conquests, as it expresses the enthusiasm and fighting spirit of the Mujahideen and glorifies their heroism in wars and victories.

At the same time, it presents its content, characteristics and subjects, as it is scattered throughout books of poetry, history, literature and biography, and answers the question of where we find it. The research then reveals those who were successful in this type of literature, including Al-Kâqâ' bin Amr At-Tamîmî, Amr bin Ma'di Yekrib Az-Zubaydi and others, and how they succeeded in this genre of poetry.

Keywords: Conquest poetry, Islamic conquests, El-Kâkâ'et-Temîmî, war poetry.

مقدمة:

سأحاول في هذا البحث أن أدرس شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام من خلال تعريفه وماهيته، وذكر أهم خصائصه والإشارة إلى بعض مضامينه، ومن ذلك تظهر نفسية المقاتل الشاعر، وتتجلى الدوافع القوية التي تمثلت في فكرة الجهاد حتى دفعت المسلمين إلى السياحة في الأرض ونشر دعوة الإسلام، واثقين مما وعدهم به الله من النصر أو الشهادة. ثم أتعقب المجاهدين وما قالوه من شعر نظموه خلال جهادهم في الشام والعراق، وغيرهما من البلدان التي فتحوها، وأبلوا فيها بلاء حسنا، فتغلبوا على الفرس وقتلوا ملوكهم وأمراءهم، ودحروا الروم في أكثر من موقعة، فاستطاعوا بإذن الله تعالى أن يجتاحوا تلك البقاع رافعين لواء الإسلام في كل المواقع التي خاضوها.

كما أشير إلى الطابع الذي يتميز به شعر الفتوح وتأثره بالإسلام، فهو يطبعه طابع الالتزام؛ حيث التزم بأهداف رفيعة وغايات سامية ومبادئ عالية، وهو طابع مستمد من الفكر الإسلامي، كما تغلب عليه سمة القصر والإيجاز الذي اتسمت به قصائد شعر الفتوح، وذلك بسبب الظروف العصيبة التي تحيط بالمجاهدين، وكذا القلق والاضطراب الذي يسود ساحة المعركة وميدانها، كل ذلك منع الإسهاب والإطالة في قصائد الفتوح، ناهيك عن العفوية التي طالته نتيجة لظروف القتال، فالشاعر لا يجد الوقت للتنميق وتحسين الأسلوب، فموقف الجلل الذي هو فيه جعله يعمد إلى الصدق.

ثم أشير إلى بعض نماذج شعر أولئك الشعراء الفاتحين، فمنهم من هو مشهور قبل ذلك وأولئك هم جيل المخضرمين، ومنهم من كان مغمورا فشهرته الفتوحات، فانطلقت ألسنتهم ترسم جوانب المعارك بصورة لافتة، وقد ساهموا بشعرهم ذاك في تصوير الفتوح، إذ تبين مدى تأثرهم بالمُثل الإسلامية، والأحداث الخطيرة التي تعرضوا لها في ظل الإسلام، مما سيُكسب الشعر

ميزات خاصة، وذلك بتخليصه من القيود الجاهلية، بوسمه بالطابع الإسلامي، ليتطور تطورا ملحوظا، واكتسب موضوعات جديدة لم تعرف في الأدب العربي القديم، حيث تغير مفهوم الرثاء حتى تولّد نوع آخر منه وهو رثاء الأشلاء، وانضاف نوع آخر وهو شعر الحنين الذي ورث بكاء الأطلال، وأورثه لشعر الغزل العذري فيما بعد، وكشعر المشاهد الغريبة مما يراه المجاهدون من أماكن جديدة وغريبة عليهم.

تعريف شعر الفتوحات وماهيته:

شعر الفتوحات الإسلامية هو نوع مميّز من الشعر الذي ظهر وانتشر في عهد الفتوحات الإسلامية،

فعندما جاء الدين الحنيف بدأ شعر الفتوحات الإسلامية في الظهور وذلك للدفاع عن الدين الحنيف بسلطان الشعر، فهو سلاح أدبي يتم من خلاله الدفاع عن الإسلام والإشادة بالأبطال المجاهدين وإثارة حماسهم، وكذا التعبير عن الانتصارات. وقد كانت كلمات هذا النوع من الشعر بمثابة سهام قد أصابت الأعداء في المعارك والحروب وساحات القتال.

أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته انطلاقا من كون شعر الفتوح مصدرا مهما لتوثيق التاريخ الإسلامي في فترة الفتوحات، فكما أن الشعر ديوان العرب يوثّق لنا أيامهم وحروبهم وغزواتهم، فإن شعر الفتوح شاهِد تاريخي يصور لنا الأحداث التي تقع أثناء تلك الحروب، ويساعدنا في فهم الظروف والملابسات التي واجهت المجاهدين في ذلك الوقت، ويكتب ملامح الفتوحات والانتصارات التي حققها المسلمون.

كما أن البحث مرتبط بنوعية الشعر التي تحمل من القيم الإسلامية، ويعكس الروح الجهادية والدينية، وذلك عن طريق الاحتفاء بالإنجازات التي خلّدها المجاهدون، فقد كان شعر الفتوح مصدر إلهام الشعراء فأبدعوا في التصوير ونقل أحداث المعارك، وصوّروا الشجاعة التي تعزز الروح القتالية لدى المجاهدين، وأبرزوا التضحيات المبذولة.

إشكالية البحث:

رغم أن شعر الفتوح يعدّ من أهم الأشعار لدى الأمة لِما له من ارتباط بتاريخها المتميز؛ إذ هو شاهد على عزها وبطولاتها، وهو أيضا سِجلّ فخرها، إلا أننا لا نكاد نجد في الدراسات الأدبية عناية بشعر الشعراء المحاربين، بل إنه من الغريب أن غالب أولئك الشعراء مجهولون ومغمورون.

ومن الغريب أيضا أن بعض الدارسين يخلطون بين شعر الفتوح وبين شعر الملاحم، في حين أن بينهم فرقا؛ فشعر الفتوح شعر غنائي، يتغنى فيه المجاهدون بجهادهم وبلائهم في الحروب، ويفخرون فيه بشجاعتهم وتفانيهم وفعالهم بالعدو. في حين أن شعر الملاحم شعر قصصي، يُعْنَى بحكاية الأحداث في إطار من التهويل والمبالغة والإغراق في الخيال.

وقد جاء هذا البحث ليعرّف بأولئك الشعراء ويقرّبهم أكثر من القارئ، كما جاء كذلك ليفرّق بين النوعين المذكورين من الشعر.

أثر الإسلام في الشعر العربي:

لابد أن نعرف أن الشعر يتغير حسب الأحوال والظروف الزمانية والمكانية، ولا يبقى ثابتا على حال واحدة على مر العصور، فقد كان من مظاهر الشعر الجاهلي الهجاء والفخر والغزل الصريح، لكن الأسلوب تغير بتغير الزمان ومجيء الإسلام، فقد تغيرت موضوعاته واتخذ صورا أخرى أكثر حزما وجدية والتزاما، فقد كانت هناك أشعار في مدح الإسلام، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والتحدث عن الأخلاق والفضائل، حيث أثر فيه الإسلام تأثيرا بالغا.

وقد تغير الشعر في بداية عهد الإسلام وعهد الفتوحات عما كان عليه في السابق؛ لأن الظروف والأفكار والعقول تغيرت، فلا بد لكل ذلك أن يصنع شخصيات أخرى وأفكارا أخرى من شأنها أن تؤثر على الشعر.

لأجل هذا يمكننا أن نقول: إن الشعر قد عرف تغيرات جذرية من حيث الموضوع وزاوية النظر، كل هذا كان بسبب تأثير الإسلام بما في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية وتأثر الصحابة الشعراء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ناهيك عن تأثير الإسلام على العادات والتقاليد والأخلاق والمعاملات، مما أسهم في تغيير عقلية الشاعر وأحاسيسه وشعوره وأفكاره. مما جعل المفارقة بين شاعر دخل الإسلام وبين شاعر مازال فظا غليظ القلب، مازال يعكف على عبادة الأصنام والأوثان، فهؤلاء الشعراء يقوم شعرهم على الباطل والكذب، ويخوضون في كل فن مِن فنون الكذب والزور، وتمزيق الأعراض، والطعن في الأنساب، وتجريح النساء العفائف، كما يبالغون في مدح أهل الباطل، وينتقصون أهل الحق.

ومن المؤكد أن عصر الفتوحات اتسم بالجهاد والحرب والانتصار على العدو، أو الانهزام في بعض الأحيان، كل هذه الأحداث كان لها الأثر القوي والعميق في تغيير الأفكار، ومن ثم مسح الأشعار بمسحة جديدة؛ فالشعر من الشعور الذي يشعر به الناس تجاه الأحداث والوقائع، وكل ما يحيط بهم، فتغير تلك الوقائع يكون له الأثر في تغير الشعر أيضا، والأحداث التي حصلت كان لها وقع كبير على حياة الناس؛ العامة منهم والخاصة. والشاعر في قبيلته يعدّ من الخاصة، ويتأثر بما تتأثر به القبيلة بشكل أكبر، فينعكس ذلك على المحيط أيضا باعتباره أكثر دقة في الحس ورِقّة في الشعور.

منبع ومصدر أشعار الفتوح:

لقد جاهد المسلمون في سبيل الله دولتي الفرس والروم. فقضوا على الأولى، واستولوا على أهم ولايتين للثانية، وهما الشام ومصر. وكانوا في أثناء هذا الجهاد ينظمون أناشيد حماسية، يتغنون فيها بانتصاراتهم ويمدحون شجاعتهم، ويفتخرون بما يؤدّون لله ودينه. ومن الصعب أن نعرض كل ما نظمه الشعراء في هذا الموضوع. وشعر الفتوح متفرق في بطون الكتب، ومن العسير جمعه في كتاب واحد؛ لأنه يرد في كل كتاب حسب موضوع معين؛ نستطيع أن نجمع كثيرا من الأشعار التي نظمت في كل معركة، سواء مع الفرس أو مع الروم، وإنّ ما تطفح به تلك الكتب ليؤلف للعرب في الفتوح ملحمة ضخمة.

ومن أهم الكتب التي تناولت شعر الفتوح:

كتب الصحابة والتابعين: مثل الاستيعاب والإصابة، فهناك من يتحدث عن حياة الصحابي أو التابعي الشاعر، ويسرد بعضا من أشعاره التي أنشدها في حرب من الحروب، وهناك من يؤرخ للفتوح الإسلامية، فيمثل ببعض الأشعار التي قيلت في حرب من الحروب، دون أن ينسب القول لقائله، ونجد من بين هؤلاء أيضا من لا يهتم بالشعر بل بأحداثه، فابن عبد البر(368ه) مثلا -بتأريخه للصحابة تأريخا إجماليّا في "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، حينما يترجم لمن اشترك في الفتوح منهم، -يذكر أثارة من شعرهم إن كان له نصيب من الشعر، ومثله في ذلك ابن الأثير (630ه) في "أُسْد الغابة في معرفة الصحابة" وإن كانت تراجمه أوسع، ومقدار ما يروي من الشعر أكثر، وعلى مثل هذا سار ابن حجر العسقلاني (852ه) في "الإصابة في تمييز الصحابة" إلا أن تراجمه أشمل من صنيع سابقيه، وفيها فرصة لإيراد أكثر من رواية للحادثة الواحدة، وإن كان لا يُعْنَى بمناقشة ما يتعارض من الروايات، وما يختلف من الأشعار.

كتب التاريخ: وإلى جانب كتب الصحابة هناك كتب التاريخ الإسلامي، حيث نجد "فتوح مصر والمغرب" لابن عبد الحكم (187 هـ) على ندرة ما يروي من الشعر، و "فتوح الشام" للواقِدِيّ (207ه)، ومنها أيضا "فتوح البلدان" للبَلاَذِرِيّ (279ه)، وعلى الرغم من قلة ما يرويه من الشعر فإنه ينفرد أحيانا برواية أشعار لا يرويها كتاب غيره، و"الأخبار الطوال" لأبِي حَنِيفَة الدّيْنَوَرِيّ (282 هـ)، وأكثرها اهتماما برواية شعر الفتوح "تاريخ الأمم والملوك" لابْنِ جَرِيرٍ الطّبَرِيّ (310ه)، وهو يروي الشعر في ثنايا الوقائع أو في أعقابها، منسوبا إلى صاحبه أو إلى أحد المسلمين، وكذلك "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمَسْعُودِيّ (345ه)، وغير ذلك..

وفي الحقيقة أن كثرة شعر الفتوح تقع في "معجم البلدان" لِيَاقُوتُ الحَمَوِيّ (626 ه)، فهو لا يذكر مدينة أو بلدة أو قرية أو محلة للجند إلا ويروي ما قيل في فتحها من الشعر، ولكنه لا يتحرّى في الأغلب ذكر المناسبة القريبة، ولا يحدد الفتح تحديدا تاريخيّا قدر تحرّيه رواية كل ما قيل في فتحها بصورة عامة، قد تشمل عصورا متعاقبة، دون أن يفصل بين الأشعار فصلا تاريخيّا، مما يضطر الدارس في أغلب الأحيان إلى التحقق من الشعر ومن قائله، ورد الشعر والشاعر إلى عصريهما..

كتب الأدب والتراجم: ومن كتب الأدب التي عنيت بشعر الفتح "الأغاني"، وذلك في تراجم الشعراء الذين كان لهم بلاء في حركة الفتح، برغم اقتصاره على الترجمة لأولئك المشهورين من الشعراء دون عناية بغيرهم. وكذلك "الشعر والشعراء" لابن قتيبة"، و"طبقات الفحول" لابن سلام، وما يرويانه من الشعر قليل إلى جانب ديوان أبي محجن الثقفي، وهو ديوان مفرد، ليس لشاعر من شعراء الفتح ديوان غيره. هذا فضلا عن كتب أدبية أخرى، لا يجد الباحث فيها غير قصائد قليلة، كذيل الأمالي، والخزانة، وديوان الهذليين، والمؤتلف والمختلف، والمفضليات، والحيوان، وغير ذلك كثير.[1]

ومن الكتب المحدثة التي ألفت في هذا المجال هناك:

- شعر الحرب في أدب العرب في صدر الإسلام إلى أبي فراس الحمداني، للدكتور زكي المحاسني.

[1] النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، 2005، ص: 15.

- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، للدكتور النعمان عبد المتعال القاضي.

خصائص شعر الفتوح:

عندما يُذكر شعر الفتوحات الإسلامية يُذكر معه شعر الحروب التي خاضها المسلمون في العصر الأول للإسلام، فيخطر بالبال أولئك المقاتلون الشعراء المتحمسون للشهادة ولقاء ربهم، فيستخلص من ذلك الآثار النفسية التي تكون مرافقة للشاعر، الذي تلفظ بتلك الكلمات المشجعة على القتال والهجوم على العدو والبلاء الحسن، فهو إذن يحمل آثارا نفسية مُفعمة بروح الإسلام، وتتكشف من خلاله نفسية البطل الشجاع، الذي يرجو الشهادة ولا يخشى الموت.

وهناك خصائص عامة لهذا الشعر تنبع من أصله ومسمّاه، فهو ينبع من روح الإسلام وصادر من شعراء الدولة الإسلامية، لذلك نجده يتميز بالرقة والبساطة، ويتميز بالبعد عن غلظة الجاهلية وفظاظتها، ومن سماته أيضا بُعده عن التطويل والإسهاب، كما أن ألفاظه وعباراته مستمدة من المعجم الإسلامي، حيث تأثر الشعراء بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. أما معانيه فقد تأثرت بروح الإسلام، حيث أصبح الشعر يليق بالدولة الإسلامية وعصر التدين.

فبعدما اهتدى الناس إلى الدين الحق تهذبت ألفاظ الشعراء وصُبغت بالصبغة الإسلامية، فأصبحوا يدعون الناس بشعرهم لعبادة الله الواحد الأحد، ويدعونهم للأمور الحسنة، والتقرب لله ورسوله بكل قول وعمل، متمثلين بالقرآن الكريم الذي اهتم بهداية الناس وتنويرهم، وهديهم للدين والذكر الحكيم. وقد ظهر ذلك جليّا في قصائدهم التي يلقونها في ساحة الحرب، كما تميزت تلك المعاني كذلك بالعمق والغزارة والتوسع.

مما يظهر أن النزعة الإسلامية قد طغت على هذا النوع من الشعر، حث الشعراء على الجهاد والترغيب فيه لإيمان المجاهدين بعقيدة الجهاد في سبيل الله؛ لأن الغاية من الجهاد والفتوحات كانت غاية دينية، لذا فمن الطبيعي أن تكون القصائد التي تُنظم فيها متأثرة بالنزعة الدينية، ونشر مبادئ الإسلام.

أما أساليبهم فقد تحسّنت، فلم تعُد وحشية كما كان عليه الأمر في العهد الجاهلي. وأما الخيال فقد ظل أكثره مستمدا من القديم، مع تأثر الشعراء ببعض الصور الإسلامية. كما أن الشاعر تأثر في وصفه لتلك الحروب بما يراه في تلك البلدان التي سافر إليها من مظاهر الترف، مثل القصور والمباني العالية، خلافا لما كان عليه الشاعر حيث كان يعيش في بيئة صحراوية، فهو لم يكن يصف إلا الأطلال والصحراء والناقة والفرس والرمح.

ومن خصائص أشعار الفتوحات الإسلامية المعنوية أنها كانت تصدر عن مشاعر وعاطفة صادقة، فكانت تجسد روح الجهاد الإسلامي، والغاية من نشر الإسلام؛ بحيث إن الشاعر لا يقول كلاما حماسيا هكذا، ولا يقول ما لا يفعل، بل إن كل ما يصدر عن لسانه يعبر عما تفيض به روحه ونفسه، وصدره يتأجج بتلك الحرقة التي تزرعها فيه عقيدته التي تحرضه على القتال في الصفوف الأمامية لا يخشى شيئا، وهو ذلك الشاعر الذي يندفع بما تحمله روحه من شعور لا يهاب الموت، ولا يأبه بما يملكه العدو من قوة، بل هو يشعر أنه أقوى من العدو الذي يجابهه، وهو على ثقة تامة بالنصر؛ لأن الله وعده بذلك، أو شهادة ترفع درجته ومقامه عند الله، فعندما يُلقي ذلك الشعر فهو لا يقوله من فراغ، بل يقول ما يحس ويشعر به، بلا مبالغات ولا خيالات.

وقد ظهرت القصائد القصيرة، والأبيات المقتضبة، التي تخدم المعنى وتوصل الرسالة بشكل واضح وصريح مع شعر الفتوح، ولا سيما أن الوحدة التي انتهجها الشعراء جعلت القصائد تقتصر على معنى واحد، فلا مجال للاسترسال. وخلاصة القول أن لشعر الفتوح خصائص عديدة نوجزها فيما يلي:

+ **احتواؤه على الألفاظ الدينية والمعاني القرآنية**: حيث إن القصائد الخاصة بالفتوحات عامرة بالمعاني والكلمات الجهادية الخالصة، وهي حافلة بالحماس، كما تأثرت بالألفاظ الإسلامية، حيث اقتبس الشعراء من القرآن والسنة، فكان المرجع

الأساسي لهم الذكر الحكيم، وسنة النبي العظيم. ويخضع شعر الفتوحات الإسلامية لنزعة دينية تتمثل في عقيدة الجهاد من أجل نشر تعاليم الإسلام والدفاع عنها.

حيث قال عَبْدُ بنُ رَوَاحَةَ:

شَهِدْتُ بِأَنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وأَنّ النّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا

حيث استمدها من الآية الكريمة: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر ٣٢]

+ **طبعه الإيجاز والقصر**: حيث كان في أغلب عباراته مقطوعات قصيرة، وقد غلب الإيجاز على هذا النوع من الشعر، مع كونه معبرا، فلا يسترسل الشعراء في القول؛ لأن المشاهد التي كان يتم تصويرها من طرف الشاعر متسارعة، لذلك يكتفي بإبرازها في أبيات قليلة، يكتفي الشاعر فيها بالإشارة التي توحي بوصف الحدث بدقة.

حيث يقول أحد شعراء الفتوح وهو يزِيدُ بْنُ الصّعِقِ شاكيا بعض الجنود من الولاة والعمال حين يخونون فيما ائتمنوا عليه، فأرسل بشكوى طويلة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يقصّ عليه كيف أثْرَوا ثراء غير مشروع من أعمالهم التى يتولونها ومما يأخذون لأنفسهم من المغازي، وقد أجاز في ذلك قائلا:

نؤوبُ إذَا آبُوا ونَغْزُو إذَا غَزَوْا ... فَأنّى لَهُمْ وفْرٌ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرُ

+ **تميزه بوحدة الموضوع**: الخطب جلل، والموقف موقف حرب وكرّ وفرّ وهجوم على العدو، فلا تتطرق القصيدة إلا لهذه الأحداث بما فيها من أهوال الحرب من طعن وقتل وهجوم وأسْر وانتصار وفتح لبلاد، لذا كان موضوع القصيدة واحدا لا يتعدّاه إلى غيره.

ومن ذلك القصيدة التي نظمها نَافِعُ بْنُ الأسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ حيث قال:

بَنُو تَمِيمٍ عَتَادُ الحَرْبِ قَدْ عَلِمُوا والنّاهِضُونَ إذَا فُرْسَانُهَا رَكِبُوا

والحَامِلُونَ إذَا مَا أَزْمَةٌ أزِمَتْ فِعْلُ العَشَائِرِ إنْ هَمُّوا وَإنْ ضَرَبُوا

والفَاصِلُونَ إذَا مَا خُطّةٌ جَهِلَتْ عِنْدَ الجُمُوعِ وفِيهِمْ تَفْصُلُ الخُطَبُ

+ **تميزه بالبساطة وعدم التكلف**: وذلك لما يعترض صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين إطالة الفكرة وتجويد اللفظ وتنميقه. ولمّا كان شعر الفتوح يُلقى في ساحات الحرب وفي ميادين القتال، وكان الشاعر المجاهد يُلقيه لأول مرة ولا يفكر في تنقيح ولا في تصفية أو تهذيب، لذلك "كانت تشيع فيه البساطة وعدم التكلف لما يعترض صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين إطالة الفكرة، كما تحول بينه وبين المعاودة للفظ وتجويده وتحبيره".[2]

حيث يقول عَمْرو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ:

أَفَاطِمَ لو شَهِدتِ ببطن خَبَتٍ وَقدْ لاقى الهِزَبرُ أخاكِ بِشْرًا

إذَنْ لرأيتِ ليثاً رامَ لَيْثًا هِزَبْرًا أغلباً يبغي هِزَبْرًا

تَبَهْنَسَ إذ تقاعسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فقلتُ عُقِرتَ مُهْرًا

+ **التزامه بتعاليم الإسلام**: فشعر الفتوحات كان أثرا للحركة الإسلامية، بمعنى أنه التزم بنشر الدعوة الإسلامية، ولا يحيد عنها. وما دام هذا النوع من الشعر متعلقا بفكرة الجهاد فإنه من الطبيعي أن يُبرز فيه الشاعر الأسباب التي حملته على أن يبذل الغالي والنفيس، وأن يضحي في سبيل إعلاء كلمة الحق بكل ما يملك.

ويظهر من شعرهم جوانب من قيم الإسلام الروحية التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم حيث قال أبُو الدّرْدَاءِ:

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي؛ العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: 20، س: 2002، ج: 2، ص: 67.

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُؤْتَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ مَا أَرَادَا

مضامين شعر الفتوح وموضوعاته:

إن هذا النوع من الشعر -الذي يتناول في طياته المعارك والحروب التي قامت بين المسلمين والدول أو القبائل المُعادية- هو بمثابة سجل عزّ وفخر الأمة، وعنوان بأسها وشدّتها، حيث يصور لنا مراحل منيرة من تاريخ الأمة، ويعرض لنا أسباب انتصارها وبطولاتها، كما يصور أسباب الهزيمة إن كانت هناك هزيمة، وفيه من قسوة المعارك، ووعورة الطرق، وصعوبة المسالك، ومشقة الأسفار، والمواجهات الدامية، وأهوال الحروب والصمود عند لقاء العدو، والصبر في المواجهة، كما يصف أيضا تفاصيل المعركة، وحالة العساكر والمقاتلين النفسية، وبسالة الجيش، ويصور بداية المعركة والالتحام بين الجيوش، والكر والفرّ والإقبال والإدبار، ونهاية المعركة من نصر أو هزيمة ومن هروب، أو فوز بغنيمة، وحالة الجرحى، ونفسية المنتصرين والمنهزمين.

يتناول شعر الفتوح مضامين كثيرة، فهو يرسم مشاعر الفاتحين، ويتناول كل ما يتعلق بالفتح من تعبير عن الأحاسيس والحنين إلى الأهل والديار، وأنماط حياة المقاتلين، والظروف التي كانوا يحاربون فيها، وصور الطبيعة والعُمران في المناطق التي فتحها المحاربون، ووصف ما يراه المجاهدون من مشاهد وقلاع وقصور وحيوانات وغيرها، وما يتخلل ذلك من الدعوة إلى الجهاد، وتصوير المعارك والإشادة بالأبطال، وتأبين ورثاء الشهداء، والفخر بالمجاهدين في ساحات القتال، وهجاء المشركين، فضلا عن أن الشعراء اهتموا بأن يكونوا ناقلين للحضارة الإسلامية، ومتكلمين عن الفتوحات، وموردين لحكايات الأبطال والجيوش، كما صور شعرهم معاناة أهالي الشهداء ومشاعرهم، وفرحهم لاستشهاد أبنائهم في كنف الإسلام، وغير ذلك من المواضيع، وسنقتصر هنا على بعض هذه المضامين التي تطرق إليها شعر الفتوح:

+ **وصف المعارك وتصوير الوقائع**: حيث ذكر الشعراء المجاهدون في أشعارهم وقائع وأحداث اشتباكاتهم مع المشركين، ومواجهتهم لأهوال الحروب، وعزمهم على خوضها، واسترخاصهم للحياة في سبيل الله، وصوّروا ذلك تصويرا تمتزج فيه نشوة النصر بانهزام المشركين وتراجعهم.

يقول الصحابي الجليل بِشْرُ بنُ ربِيعَة الخَثْعَميّ في وصف معركة القادسية:[3]

أَنَخْتُ بِبَابِ القادِسيّة نَاقَتِي وسَعْدُ بنُ وقّاصٍ علَيّ أميرُ

إذا ما فَرَغْنا من قِراعِ كَتيبَةٍ دَلَفْنا لِأُخْرى كالْجِبال تَسيرُ

فالشاعر هنا يصف مشاركته في معركة القادسية عندما هزم سعد بن أبي وقاص ملك كسرى، كما يصف وقع السيوف في الحرب وقلوب العدو واجفة، فإذا ما فرغ جنود المسلمين من مقارعة كتيبة وأثخنوا فيها قتلا تحوّلوا لأخرى، وكأنهم كالجبال في ضخامتها وقوتها تسير.

ويقول عُرْوةُ بنُ زَيْد الخَيْل:[4]

صَبرْتُ لِأَهْلِ القادِسيّة مُعلَما ومِثْلي إذا لمْ يَصْبِرِ القِرن أصبِرُ

فَطاعَنْتهُم بالرُّمْح حتّى تَبدّدُوا[5] وضارَبْتُهُمْ بالسَّيفِ حتّى تكَرْكَرُوا[6]

حَمَدْتُ إلَهي إذْ هَدانِي لِدِينِي فَلِلّهِ أسْعى ما حَيِيتُ وأشْكُر

3 الأصفهاني، الأغاني، ج: 15، ص: 160.
4 أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ح: 1، ص: 214.
5 هربوا متفرقين.
6 انهزموا.

حيث يصف الشاعر عدم استشعاره بأدنى ضجر أو ضيق إزاء ما يلقاه من مشاق الجهاد، ولا يشعر بأي خوف من مواجهة الموت التي تتربص به وبأصحابه من كل جانب، يطعن الأعداء بالرمح حتى يتفرقوا ويضربهم بالسيف حتى يتراجعوا، ويحمد الله تعالى على أن هداه لدينه رغم تلك الصعاب والمشاق التي تواجهه، ويشكره على أن هداه للإيمان، ويسأله أن يوفقه في طاعته، وأن يمن عليه بشكره.

+ **الفخر:** وقد كان الهدف الأساسي من أشعار الفتوح هو التفاخر بالفتوحات الإسلامية والانتصارات التي يحققها المسلمون، وبما يقوم به المجاهدون في سبيل الله من فداء بالنفس والمال. ولذلك ير[7]تبط وصف المعارك بالفخر ارتباطا وثيقا في شعر الفتوح، غير أنه فخر من نوع آخر، فهو مختلف في دوافعه وغاياته، إذ الفخر فيه لا يشبه فخر الشعراء الجاهليين، وهو لا يصدر باستعلاء وتكبر وعنجهية، وإنما يصدر عن شعور بالاعتزاز بدين الإسلام، والشرف الذي يحصل للشاعر في مشاركته في دحض العدو والانتصار عليه، لذلك نرى الشاعر المجاهد يفخر بما يبذل من شجاعة، وبما يُظهر من بأس في خدمة الدين، ولا يرجو من ذلك سوى مرضاة الله سبحانه. كما يفخر بصبر المجاهدين وبسالتهم وقوتهم وتغلبهم على الأعداء، ويصور إقدام الشجعان في الحرب، أو استشهاد الأبطال، أو إعمال الأشاوس والأشدّاء للقتل والطعن في نحور الأعداء. ويُستخدم شعر الفتوح لتحفيز وتشجيع الجنود المجاهدين على إظهار الصلابة والشجاعة والجلد والاستمرار في الجهاد والدفاع عن الإسلام.

ومن الشعراء الذين يفتخرون بما حققوه في ساحة المعركة عَمْرُو بْن مَعْدِ يَكْرِبَ بْنِ رَبيعَة بْن عبْد اللهِ الزّبِيديّ،[8] وهو أشهر الشعراء المخضرمين الذي لقب بفارس اليمن، حيث كانت له آثار مشهورة في القادسية واليرموك ونهاوند، وهو من الشعراء الذين أسهموا في الفتوح بسيوفهم وألسنتهم، وله عدة قصائد، ومن شعره في القادسية:[9]

والقادسِيّةُ حِينَ زاحَم رُسْتُم كُنّا الحُماةَ بِهِنّ كالأشْطانِ[10]

الضّارِبينَ بِكُلّ أبْيضَ مِخْذَمٍ[11] والطّاعِنينَ مَجامِع الأضْغَانِ[12]

حيث عبر في هذه الأبيات عن قصفه جنود الفرس وأطاح برؤوس أبطالهم، وهو يتصايح بالشعر الحماسي، فهو يفخر بنفسه والمقاتلين، فهم لا يهابون الموت، وكانوا للفرس بالمرصاد، وأحاطوا بهم من كل جهة، وكيف يضربون الأعناق، وكيف يطعنون الصدور فيُدمون القلوب ويُردونهم قتلى وصرعى. وهذا نموذج آخر من شعره الذي ذاع صيته في الأوساط الأدبية.[13]

هاجَ لك الشّوْقُ في رَيحانَة الطّربا ويَومٌ ببرْقاءِ الإخَاذَيْنِ لَو رأى

فلمّا هبَطْنا بَطْن رَنِينةَ بالقَنا ومُردٍ على جُردٍ شَهِدتُ طِرادَها

7

8 ولد سنة (75 ق.هـ /547 م) ، وتوفي سنة (21 هـ/642 م) ، كان من أبطال الجاهلية وفرسانها، وصاحب غارات مشهورا في العرب، وُلد ونشأ في ديار قومه، بمنطقة تثليث وهي واد بنجد، وكانت أخته ريحانة زوجة الصمة الأصغرن، فولدت له دريد بن الصمة، وهو ابن خالة الزبرقان بن بدر، وفد على المدينة سنة 9 هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو، ثم رجع إلى الاسلام، فبعثه أبو بكر الصديق إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية على رأس ثلاثمائة، ثم كان فيمن شارك في فتوح مصر في سنة 19 هـ، وشهد مع النعمان بن مقرن معركة نهاوند، فقتل هنالك مع النعمان وهو ابن نيف وتسعين عاما. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، ج: 15، ص: 208. وانظر: الشعر والشعراء، ج: 1، ص: 332.

9 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج: 2، ص: 63

10 الأشطان: الجنّ والمردة.

11 قاطع.

12 مجامع الأضغان: القلوب.

13 الأصفهاني، الأغاني، ج: 15، ص: 240

ولِنافِعِ بْنِ الأسْودِ شعر حيث يقول:[14]

هُم أهْلُ عِزّ ثابِتٍ وأرُومَة[15] وهُمْ مِن معدّ في الذُّرى[16] والغَلاصِم[17]

وهمْ يَضْمَنون المالَ لِلجارِ ما ثَوى[18] وهُمْ يُطعِمونَ الدّهْرَ ضَرْبة لازِم[19]

وحِين أتَى الإسلامُ كانوا أئمّةً وبادُوا معَدّا كُلّها بالجَرائِم[20]

فجاءتْ بِهِمْ في الكتائب[21] نُصْرة فكانوا حُماةَ النّاس عِند العَظائم

والشاعر في هذه الأبيات يفتخر بقبيلته تميم وببلائها وأثرها في معركة القادسية، حيث إنهم ذوو أصل وحسب ونسب، وكذلك هم أشراف الناس وساداتهم، ويحفظون المال للجار ولمن أقام عندهم بديارهم ويضمنونه، ويفتخر بهم حيث يطعمون الطعام وهذا قبل الإسلام، فلما أتى الإسلام كانوا أئمة في الطباع والسجايا الحسنة، فهم شجعان في الحرب بهم يأتي النصر، وهم حُماة الناس عند الشدائد والمصائب.

ويقول عُرْوةُ بنُ زَيْد الخَيْل في معركة نَهاوَنْد:[22]

ولما دَعَوا يا عُروة بن مُهلْهِل ضَرَبْتُ جُمُوعَ الفُرْس حتى تَوَلّتِ

دَفعْتُ عليْهم رِحْلتي وفَوارِسي وجَرّدتُ سَيْفي فيهِمْ ثُمّ آلَتِي

وقدْ أضْحَت الدُّنْيا لَديّ ذَميمَةً وسَلّيتُ عنها النفسَ حتّى تسَلّتِ

وأصْبح هَمّي في الجِهادِ ونيّتي فلِلّه نفْسي أدْبَرتْ وتَولّتِ

فهو يفتخر بنفسه حيث إذا دُعي للحرب لا يتوانى، بل يهجم على الأعداء ويضرب الأعناق، فيهابه العدو ويتولّى هاربا منه، ويشيد بنفسه أيضا وذلك بتصوير شجاعته وبأسه وأفعاله بالعدو.

ومن الشعر الذي يفخر ببسالة المجاهدين وقدرتهم على الإيقاع بالعدو، قول خليد بن المنذر في يوم طاووس:[23]

بِطاوُوسَ ناهَبْنا المُلوكَ وخَيلُنا عشِيةَ شَهَرَاكَ عَلوْن الرّواسِيا

أطاحتْ جُموعُ الفُرْس مِنْ رَأسِ حالقٍ تَراه لِبوّار السّحابِ مُناغِيا

فلا يُبْعدَنّ اللهُ قومًا تَتابَعُوا فقَدْ خَضّبُوا يوْم اللّقاءِ العَوالِيا

فهو يفتخر بمقارعة العدو بطاووس، وهو موضع بنواحي بحر فارس، وكانت المعركة مع شهراك حيث حُصِر المسلمون من كل الجوانب من طرف العدو، لكن بسالة المسلمين أنهت المعركة لصالحهم فالتقوا مع المشركين رأسا، فهزم المسلمون المشركين هزيمة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جدا، وأخذ منهم أموالا جزيلة، وقد خُضّب المكان بدمائهم.

وقد يعمد الشاعر إلى تصوير قوة الأعداء وذكر ثباتهم، ليجعل ذلك سبيلا إلى الفخر بنفسه وبكتيبته، مثل قول عَاصِمِ بْن عمْرُو يوم المقْرِ:[24]

أَلَمْ تَرَنا غَداةَ المَقْرِ جِئْنا بأنهارٍ وساكِنها جِهارا

14 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، ص: 172.
15 أصل وحسب.
16 جمع ذِروة، ويريد بها المكانة العالية.
17 أشراف الناس وساداتهم.
18 أقام عندهم بديارهم.
19 ضربة لازم: أي موجبا لا مفرّ منه.
20 الطباع والسجايا الحسنة.
21 جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش.
22 أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، ص: 138.
23 أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 2، س: 1995، ص: 8.
24 الحموي، معجم البلدان، ج: 5، ص: 175.

قَتَلْناهُمْ بِها ثُمّ انْكَفأنا إلى فَمِ الفُراتِ بما اسْتَجَارا
لَقَيْنا مِنْ بَني الأحْرارِ فِيها فَوارِسَ ما يُرِيدُونَ الفِرارا

+ **الرثاء**: والرثاء في مثل هذه المواقف تكون له علاقة مباشرة بالوضع الذي يعيشه الشاعر المجاهد من خلال فقده لأحبابه وإخوانه في ميادين القتال، إذ يذكر ما عُرفوا به من جَلد وصبر وشكيمة، ورغبة في الشهادة، فهو يمجّد بطولاتهم، ويُشيد بفعلهم، وعلى الرغم من أنه يرثيهم ويبكي عليهم إلا أن ذلك يختلف عن الرثاء في العصر الجاهلي من حيث التسليم بقضاء الله، والامتثال لإرادته وتقبله لها.

كما أشاد شعراء الفتوح في رثائهم باندفاع من استُشهدوا في ميادين الجهاد، وأشادوا بإقبالهم على الموت بنفوس مطمئنة لنشر الدعوة الإسلامية، وصوّروا خلال ذلك التفجّع على فقدهم، واللوعة على مصرعهم، معبّرين عن مشاعرهم الإنسانية، وليس اعتراضا على ما أصابهم، وعن يقينهم بأن الموت مصير محتّم على كل إنسان، وإيمانهم بقضاء الله وقدره، احتسابا يُظهر قوة تشبثهم بعقائد الإسلام وصدق إيمانهم.

ونورد ما قاله أَبُو عَامِرِ بْنِ غَيْلاَنَ في ولده الذي خرج غازيا وأدركه طاعون عمواس فمات فيه:[25]

عَيْني جُودي بِدَمْعِكِ الهَتّانِ سَحّا وابْكي فارِسَ الفُرْسان
يا عامِرُ مَنْ لِلخَيْلِ لمّا أحْجَمتْ عنْ شِدّةٍ مَرْهوبَةٍ وطِعانِ

فالشاعر يطلب من عينيه أن تجودا بالدمع على المصاب، وأن تبكيا فارس الفرسان، وبعدما فُقد ابنه يتساءل من يكون عونا ومددا للجيش في القتال، ومن يبادر بالهجوم على العدو فيُثخن فيهم بالطعن والقتل.

وهناك مرثيات رائعة لبعض هؤلاء الشعراء لمن كانوا يفقدونهم، من ذلك قصيدة كثير بن الغريزة التميمي النهشلي يرثي بها من أصيبوا في معارك الطّالقان وجوزجان لعهد عمر بن الخطاب، ويرثي نفسه أيضا وفيها يقول:[26]

سَقى مُزْنَ السّحابِ إذا اسْتَهلّتْ مَصارِعُ فِتيَةٍ بالجَوْزجانِ
وما بِي أنْ أكونَ جَزِعتُ إلاّ حَنينُ القَلْبِ لِلبَرْقِ اليَمانِيّ
ورُبّ أخٍ أصَاب الموْتُ قَبْلِي بَكَيْتُ ولَو نَعيْتُ لهُ بَكانِي
وأيُّ فتًى إذا ما مِتّ تدْعو يُطرِّف عنْك[27] غاشِيةَ[28] السّنانِ[29]

وقد طرأ على الرثاء موضوع جديد لم يكن معروفا قبل عصر صدر الإسلام، وهو رثاء بعض أعضاء الجسد التي فقدها أولئك المجاهدون الشعراء في ساحة المعركة، وفي هذا النوع يصوّرون شدة احتمالهم لفقدها مع رجائهم الموت معها. حيث يقول عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبْرَةَ الجَرشِي يرثي يده اليمنى التي قطعها رئيس الروم:[30]

يُمْنى يَديّ غَدَتْ مِنّي مُفارِقةً لمْ أستَطِعْ يوْمَ فِلْطَاسَ[31] لها تَبَعًا
وما ضَنِنْتُ علَيْها أنْ أُصاحِبهَا ولقدْ حرِصْتُ على أنْ أسْتريحَ مَعًا
فإنْ يَكُنْ أرْطَبُون[32] الرُّومِ قَطَّعَها فقدْ تَرَكْتُ بِها أوْصالَهُ قِطَعًا

[25] الأصفهاني، الأغاني، ج: 13، ص: 201.
[26] إسماعيل بن عمرو ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، 2003، ج: 10، ص: 243.
[27] يُنحّي عنك ويُجنبُك.
[28] الداهية والمصيبة العظيمة.
[29] نصل الرمح.
30 الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج: 5، ص: 241.
[31] المعركة التي جرت بفلطاس.
[32] رتبة عسكرية عالية في جيش الروم.

وإنْ يَكُنْ أرْطَبُونُ الرُّومِ قَطَعَها فإنَّ فِيها بِحمْدِ اللهِ مُنْتَفَعًا

+ **النزعات أو المشاعر الإنسانية**: يرصد شعر الفتوح المأزق الصعب والحرج دون أن ينسى لقطة واحدة، كما يرصد المواقف التي تحدث أثناء الحرب من تضحية وإيثار ومساعدة واتحاد، وذلك من خلال الحوارات التي تجري أثناء الحرب في ساحة الوغى، والمواقف النبيلة التي تقع أثناء ذلك، وأخلاق الحرب من تعامل مع الأسرى من عفو وتسريح، ووقوع كل هذه الأحداث وسط غمرة تلك الحروب ليست بالشيء الهيّن، فمع صهيل الخيول، وصليل السيوف، وضربات الرماح تجد الشاعر يصور المواقف الجميلة التي تصدر من المسلمين فيما بينهم ومع عدوهم.

ولقد عبّر الشعراء المجاهدون عن عدة مشاعر متضاربة تعكس ما يعتمل في نفوسهم من فراق وغربة وشوق ولهفة واستسلام ورضى وخوف وحزن وألم وقلق بين الأمل في لقاء الأهل والأحبة، أو اليأس من العودة، إلى غير ذلك من المشاعر المتأججة وما يترتب عليها من حيرة بين الإقدام على الجهاد، أو التراجع عنه. فيتحدث الشاعر عن إصرار المجاهدين على الجهاد وتصميمهم لتلبية نداء الله عز وجل.

ولقد طرح شعر الفتوح الإسلامية مواضيع الشوق والحنين وصور البطولات والجهاد والفداء، حيث يعبر فيه الشاعر عن الحنين البالغ إلى الديار، والشوق إلى الأهل والوطن والأماكن العزيزة على قلبه، فيستخدم الشاعر إذ ذاك لغة شعورية وأسلوبا رقيقا، وصورا عاطفية يعبر بها عن مشاعره العميقة للحنين والاشتياق. وقد ظهرت في أبيات عديدة للكثير من هؤلاء الشعراء، حيث يقول أُمَيّةُ بْنُ حَرْثَانَ بْن الأسْكَرِ حنينا إلى ابنه كِلابٍ:[33]

لِمَنْ شَيخانِ[34] قد نَشَدا[35] كِلابًا كتابَ اللهِ إنْ حَفِظ الكِتابا[36]

إذا سَجَعَتْ حَمامَةٌ بَطْنَ وُجّ[37] عَلى بَيْضاتِها ذَكَرَا كلابا

تَرَكْتَ أباكَ مُرعِشةً يَداهُ وأمَّك ما تُسيغُ لها شَرابا

فنجد الشاعر يخاطب ابنه متسائلا لمن ترك شيخان هما أبوه وأمه وقد نشداه، فكل شيء يهيّج فيهما الشوق يُذكّرهما به حتى سجع الحمام، إنه يصوّر حالتهما التي تركهما عليها، فأبوه يداه مرتعشة لا يُحسن القيام بشيء دون ابنه، وأمّه لا تكاد تستسيغ طعاما ولا شرابا مِن أساها وأسفها عليه.

لقد أرسل الشعراء المجاهدون زفراتهم أشعارا مشحونة بالعواطف الرقيقة، والمشاعر الصادقة، حيث قال أحد الفاتحين المجاهدين، وقد هزّه الحنين إلى دياره شاكيا غُربته، وهو قَيْسُ بْنُ المُلَوّح حنينا إلى وطنه نجد:[38]

أُكَرِّرُ طرْفِي نحْو نَجْدٍ وإنّني بِرَغْمِي وإنْ لمْ يُدْرِكِ الطَّرْفُ أنْظُر

حَنينًا إلى أرضٍ كَأنّ تُرابَها إذا أَمْطرَتْ عُودٌ ومِسْكٌ وعَنْبرٌ

وما نَظَري مِن نحْوِ نَجْدٍ بنافعٍ أجَل -لا- ولكِنّي عَلى ذاكَ أنْظُرُ

أفي كُلّ يوْمٍ نظْرةٌ ثُمّ عِبْرةٌ لِعَينِكَ مَجْرَى مائِها يَتَحدّرُ

بِلادٌ كَأنّ الأُقْحُوانَ بِروْضَةٍ ونُورُ الأُقاحِي وشْيٌ بردٌ مُحَبّرُ

أحِنّ إلى أرْضِ الحِجازِ وحاجَتِي خِيامٌ بِنجْدٍ دُونهَا الطّرْفُ يَقْصُرُ

33 الأصفهاني، الأغاني، ج: 21، ص: 15.
34 أي لمن ترك شيخين.
35 استحلفه وذكّره به.
36 رعى حُرمته وأطاعه.
37 ضاحية من ضواحي الطائف كثيرة الأشجار والحمام.
38 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 5، ص: 262.

حيث عبّر عن حنينه وشوقه إلى بلده، فهو يشعر بالغربة ووحشة المناطق التي سافر إليها، ويتشوق إلى أهله، لذا نجده يصور رائحة تراب بلده وكأنها عود ومسك وعنبر، فيأسف على بعده عنه، فلا يصبر على سكب الدمع حتى إنه ينحدر من عينيه مثل مجرى الماء. فهو يحن إلى بلده نجد بعدما غادرها مجاهدا في سبيل الله.

ويقول المُخَبّلُ الرّبيعُ السّعْدِيّ، يصور جزعه على ابنه شَيْبانَ المشارك بالجهاد الذي كان في غزوة مع سَعْدِ بْنِ أبِي وَقّاصٍ، وكان أبوه قد أسنّ وضعف، فقال يتحسر على غيابه عنه:

أيُهْلِكُنِي شَيبانُ في كُلّ لَيْلَةٍ لِقَلْبِي مِنْ خَوفِ الفِراقِ وَجِيبُ

ويُخبِرُني شَيْبانُ في كُلّ لَيْلَةٍ تَعُقُّ إذا فارَقْتَنِي وتَخُوبُ[39]

فبكى عمر لما سمع هذا الشعر رقّة له، وكتب إلى سعد أن يُقفِله، فانصرف شيبان إلى أبيه، فكان معه حتى مات.

+ **الوصف**: إن شاعر الفتوح يرسم صورة مشرقة عن تلك المرحلة، ويخط صورة رائعة لذلك البطل المسلم المغوار، وذلك الفارس العربي المتميز الذي لا يهاب الموت، بل يسعى إليه ويرجوه. فنجد شاعر الفتوح يصور لنا وقائع الحرب وتفاصيلها، وعدد القتلى من العدو وعدد شهداء المسلمين والأحداث التي صاحبتها، فيصوّر ذلك تصويرا جماليا، وكأن قارئ النص الشعري حاضر أجواء المعركة، وجالس في ساحة الوغى يشاهد المشاهد كلها بتفاصيلها الدقيقة. وشاعر الفتوح هو بمثابة مؤرخ لتلك الفترة التي كان لها دور كبير في تغيير موازين القوى وكفة الميزان.

كما أن الشعراء المجاهدين ذكروا ما رأوه في تلك البلاد التي ذهبوا إليها فاتحين، ولما رأوا أشياء لم يألفوها في بلدانهم فإنهم عمدوا إلى وصفها في شعرهم، فقد رأوا الحيوانات المختلفة والكنائس المزركشة والقلاع الحصينة والقصور العالية..

ويحتل الفيل صدارة وصف الشعراء، خاصة وأنه يُعد من أسلحة الحرب التي استعان بها الفرس على المسلمين، وقد كان للقَعْقاع بْن عَمْرو قصب السبق في مواجهة الفيل يوم القادسية، فقطع مشفره وفقأ عينه، يقول في ذلك:[40]

ومَا خَامَ عنْها يوْمَ سارَتْ جُمُوعُنا لِأهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ المَوالِيَا

فإنْ كُنْتُ قاتَلْتُ العدُوّ فَلَلْتُهُ فإنّي لَأَلْقَى في الحُروبِ الدّواهِيا

فُيُولاً أراهَا كالبُيُوتِ مُغِيرَةً أَسْمَلُ أعْيانًا لها ومَآقِيَا

لقد ألقى القَعْقاعُ في ذاك الموقف الجلل أبياتا يشيد فيها بدوره وقومه بني تميم من بطولات مشهودة، حيث تغنى بالنصر الذي أحرزه المسلمون على الفرس، فسار القعقاع بين المسلمين يشد من أزرهم، ويحثهم على الثبات، ومواصلة القتال، فوصف كيف رأى تلك الفيلة التي تُرى وكأنها بيوت من كِبر حجمها وما تحمله على ظهرها من هودج ضخم فيه رجال مقاتلين، وهي تُغير على جيش المسلمين، فما لبث أن أسمل عينها، وقطع خرطومها، وهاجم الأعداء حتى أنزل الله نصره على عباده المؤمنين.

ومن الوصف أيضا نجد الشعراء الفاتحين يصفون البرد القارص الذي يتعرضون له، فهم قد قدموا من مناطق حارة ولم يألفوا البرد، وقد يصفون أيضا طبيعة البلد الذي جاؤا إليه وبيئته، وفساد جوّه، وكثرة حشراته المؤذية، أو انتشار الأمراض والأوبئة، وقد صور المُهاجِرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ في شعره طاعون عمواس، وقد فقد أربعين من بني عمومته في هذا الطاعون:[41]

أَفْنَى بَنِي ريطَةَ فُرْسانَهُمْ عِشرُونَ لَمْ يُقْصَصْ لهُمْ شَارِبٌ

39 تأثم.

40 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، لبنان، ط: 2، 1387 هـ، ج: 3، ص: 557.

41 أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2، س: 1424 هـ، ج: 4، ص: 326.

ومِنْ بَنِي أعْمامِهِمْ مِثْلُهُمْ لِمِثْلِ هَذا يَعْجَبِ الْعاجِبُ
طَعْنٌ وطاعُونٌ مَنايَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطّ لنَا الكَاتِبُ

لقد وصف الشاعر خروج الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ في سبعين من أهله إلى الشام، ومَهلكهم من الطاعون، حيث لم يرجع منهم إلا أربعة، وهو رثاء وصف فيه الخطب الجلل التي نال أولئك المجاهدين جراء الوباء الذي أصابهم، ورصد تلك المصيبة التي حلّت بأقوام من الناس، ليعبّر وجدانيا من خلال قصيدته بما حلّ بأبناء عمومته وأهل قبيلته، حيث يرثيهم ويبكيهم ويعبر من هول المصاب.

+ **البلاء الحَسن في الغزوات**: وإلى جانب الوصف والحنين والرثاء نجد بعض الشعراء يتحدثون عن بلائهم في المغازى، ومنهم بشر بن ربيعة الخثعمي، وله شعر يصور فيه بلاءه وبلاء قومه في مواقع القادسية:[42]

تَذكّرْ هَداكَ اللهُ وقْعَ سُيُوفِنا بِبابِ قُدَيْسٍ والمكرّ عسير[43]
عَشيّةَ وَدَّ القَومُ لَوْ أنّ بَعْضهُمْ يُعَارُ جَنَاحَيْ طائرٍ فَيطيرُ
تَرَى القَومَ فِيها واجِمينَ كَأنّهُمْ جِمَالٌ بِأحْمالٍ لَهُنّ زَفيرُ

وممن له بلاء حسن في القادسية قَيْسُ بْنُ المَكْشُوحِ المُرادِيّ، ابن أخت عَمْرِو بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ، وهو الذي قتل رُسْتُمُ قائد الفرس في تلك المعارك، وله شعر يصور ذلك:[44]

جَلَبْتُ الخَيْلَ مِنْ صَنعاءَ تُرْدِي بِكُلّ مُدجَّجٍ كَاللّيثِ سَامِي[45]
إلَى وادِي القُرَى فَدِيارُ كَلْبٍ إلَى اليَرْمُوكِ فالْبَلَدِ الشّآمِي
وَجِئْنَ القادِسِيّةَ بَعْدَ شَهْرٍ مُسَوّمَةً، دَوابِرُها دَوامِي[46]
فناهَضْنَا هُنالِكَ جَمْعَ كِسْرَى وأبْناءَ المَرازِبَةِ الكِرامِ[47]
فَلَمّا أنْ رأيْتُ الخَيلَ جَالَتْ قَصَدْتُ لِمَوقِفِ المَلِكِ الهُمامِ
فَأَضْرِبَ رَأسَهُ فَهَوى صَريعًا بِسيْفٍ لا أفَلُّ ولا كَهام[48]
وقَد أبْلى الإلَهُ هُناكَ خَيْرًا وفِعْلُ الخَيرِ عِنْد اللهِ نامِي

وممن حضر القادسية وله فيها شعر عَمْرُو بْنُ شَأْسٍ الأسَدِيّ،[49] وكان كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، وله يذكر قتل رُسْتُمَ:[50]

قَتَلْنا رُستُمًا وبَنيهِ قسْرًا تُثيرُ الخيْلُ فوْقَهمُ الهُيَالا[51]
وَفَرّ الهُرْمُزانُ ولَمْ يُحامَى وكانَ على كَتيبَتِهِ وبَالا[52]

[42] الأصفهاني، الأغاني، ج: 15، ص: 243.
[43] قُديس: يريد القادسية أو موضع بجانبها.
[44] أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، المطبعة المصرية، الأزهر، ص: 261.
[45] تردى الخيل: ترجم الأرض بحوافرها.
[46] مسومة: مُعلّمة. الدوابر: العراقيب. دوامي: ملطخة بالدم.
[47] المرازبة: رؤساء الفرس.
[48] أفل: مثلم. كهام: كليل لا يقطع.
[49] وهو أبو عرار، عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي (25 ق هـ - 60 هـ / 597 م – 680 م) صحابي وشاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، عده ابن سلام الجمحي في الطبقة العاشرة من شعراء الجاهلية. انظر ترجمته في الأغاني، ج: 11، ص: 196.
[50] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج: 3، ص: 50.
[51] الهيال: ما ينهال من الغبار.
[52] الهرمزان: الكبير من حكام الفرس.

وقال نافِعٌ بْنُ الأسْوَدِ التّميمِيّ -لما سار الأحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ التّمِيمِيّ إلى خُراسانَ ودخل مُدنها، وهرب منه آخر ملوك الفرس يَزْدَجرْد الثالث، فغرق في أحد الأنهار، وقيل مات في طاحونة-:[53]

ونحْنُ قَتلْنا يَزْدَجِرْدَ بِبَعْجةَ مِنَ الرُّعْبِ إذْ ولّى الفِرارَ وغَارَا
غَداةَ لَقَيْناهُمْ بِمَرْوَ تَخالُهُمْ نُمُورًا عَلى تِلكَ الجِبالِ وَبَارَا
قَتَلْناهُمْ فِي حَرْبَةٍ طَحَنَتْ بِهِمْ غَدَاةَ الرّزِيقِ إذْ أرادَ حِوارَا
ضَمَمْنَا عليْهِمْ جَانِبيْهِمْ بِصادِقٍ مِنَ الطّعْنِ ما دَام النّهارُ نَهارَا
فَواللهِ لوْلا اللهُ لا شَيءَ غَيرُهُ لَغادَتْ عَلَيْهِمْ بالرّزيقِ بَوارَا

وشهد القادسية أيضا عُرْوةُ بْنُ زَيدِ الخَيْلِ، وله فيها شعر كثير على شاكلة قوله:[54]

بَرَزْتُ لِأهْلِ القادِسيّةِ مُعلّمًا وما كُلّ مَنْ يغْشى الكَرِيهَةَ يُعَلّمِ

ومن الشعراء البارزين الذين شهدوها رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبّيّ،[55] وقد ختم الجاحِظُ كتابه "الحيوان" بأبيات له يذكر فيها بلاءه حينئذ، وفيها يتحدث عن صنيعه فى تلك الحرب. يقول فيها:[56]

وشَهِدْتُ مَعْرَكَةَ الفُيُولِ وحَوْلها أبْناءُ فارِسَ بِيضُهَا كالأعْبَلِ[57]
مُتسَرْبِلِي حِلَقِ الحَديدِ كأنّهُمْ جُرْبٌ مُقارِفَةٌ عَنيّة مهْمِلِ[58]

ومن ذلك قصيدة لِعَبْدَةِ بنِ الطّبيبِ،[59] وهو من الشعراء المجيدين الذين أبلوا في حروب القادسية والمدائن، ونراه يستهلها بقوله:[60]

هَلْ حَبْلُ خَوْلةَ بَعدَ الهَجْرِ مَوصُولُ أَمْ أنتَ عَنْها بَعيدُ الدّارِ مشْغُولُ
حَلَّت خُوَيلَةُ فِي دارٍ مُجاوِرَة أَهلَ المَدائِنِ فيها الديكُ وَالفيل

ويمضي فيذكر جهاد المسلمين للفرس، يقول:

يُقارِعُونَ رُؤوسَ العُجْمِ ضَاحِيةً مِنْهُمْ فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولاَ مِيلُ

ويحدثنا عن هجرته مع قومه، وأنهم إنما يبتغون ثواب الله، يقول:

نَرْجُو فَوَاضِلَ رَبٍّ سَيْبُهُ حَسَنٌ وَكُلُّ خَيْرٍ لَدَيْهِ فَهْوَ مَقْبُولُ

رواد شعر الفتوح:

الناظر إلى شعراء الفتوحات الإسلامية يرى أنهم ليسوا على صعيد واحد، فمن شعراء الفتوح القدامى الذين هم معروفون بقول الشعر حتى قبل أن يلتحقوا بساحات المعارك وميادين الجهاد، بل منهم شعراء فحول لا يخفَون على دارسي الأدب لشهرتهم، من أمثال عَمْرِو بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ الزَّبِيدِيّ، وعَبْدَة بن الطّبِيبِ، وأبِي مِحْجَنَ الثَّقفِيّ، ورَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبّي، وأبِي

53 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، ص: 174.
54 الأصفهاني، الأغاني، ج: 16، ص: 51.
55 الأصفهاني، الأغاني، ج: 19، ص: 90.
56 الجاحظ، الحيوان، ج: 7، ص: 263.
57 البيض: الخوذ. الأعبل: حجر أبيض.
58 يشبه الفرس بإبل جرباء. مقارفة: من القراف، وهو داء يقتل البعير. العنية: طلاء للجرب، وأراد نفس الإبل الجربى. والمهمل: الذي يهمل الإبل في المرعى.
59 أبو يزيد عبدة بن الطبيب بن عمرو العبشمي التميمي (25 ق هـ- 45 هـ / 598 م - 665 م)، وهو شاعر مقدم من الشعراء المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم، وله أرثى بيتٍ قالته العرب، وهو بيته الذي يرثي به قيس بن عاصم التميمي. وانظر ترجمته في الأغاني، ج: 18، ص: 163.
60 انظر القصيدة في المفضليات، طبعة دار المعارف، ص: 135.

ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيّ، وعَمْرِو بْنِ شَأْسٍ الأسَدِيّ، وقَيْسِ بْنِ مَكْشُوحٍ المُرَادِيّ، وعُرْوة بْنِ زَيْدِ الخَيْلِ الطَّائِيّ، والنّابِغَة الجَعْدِيّ، والشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَار، والحُطَيْئَة.

ومن شعراء الفتوح أيضا من لم يُعرف لهم شعر قبل الفتوحات، ولم يَجر على ألسنتهم إلا أثناء المعارك والجهاد التي أثرت في نفوسهم ودفعتهم للتعبير عما يجول في مشاعرهم وخواطرهم حتى أنطقتهم الفتوح، ولهم شعر جيد، حتى إنه يخيل لنا أن الفاتحين كلهم كانوا شعراء، وقد كان هذا الصنف من الشعراء مغمورين، لم يشتهروا بشعر عند الناس قبل اشتراكهم في الفتوحات، وإن كانوا هم في الحقيقة شعراء ولكن غير معروفين، كالأَسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ التّمِيمِيّ، ونَافِعٍ ابنه، والقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو، وأخيه عَاصِمٍ، وحَسّانِ بْنِ المُنْذِرِ بْنِ ضِرَارٍ الضّبّيّ، والأعْوَرِ العَبْدِيّ الشّنّي، وضِرَارِ بْنِ الخَطّابِ، وعَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الزّهْرِي، وكُثَيْرِ بْنِ الغَرِيزَة النّهْشَلِي.[61]

ويقال أن الكثير من أشعار الفتوحات الإسلامية قد ضاعت لأسباب كثيرة، من أبرزها استشهاد الشعراء الأوائل في الفتوحات الإسلامية.

شعراء الفتوح ونماذج من شعرهم:

كما سبق وذكرنا بأنه في الحقيقة لا يوجد شعراء فتوح كثيرين ولكن الغزوات والبطولات أخرجت منهم الشعر، وجعلت منهم شعراء مشهورين. فقد كان الشعراء الموهوبون والمعروفون يقولون الشعر بادئ الأمر غير أن الغزوات والفتوحات أظهرت شعراء جدد على الساحة الإسلامية ألهمتهم الفتوحات، بدؤوا يظهرون على مسرح الشعر، وإن كانت أدوارهم لا تسمو إلى أدوار الشعراء القدامى، مع أن شعرهم أكثر فاعلية في أداء مهمة الشعر في المعركة، ويدهش الباحث أمام كثرة الشعراء من هذا القبيل، حتى ليخيل إليه أن الفاتحين جميعًا قد استحالوا شعراء في الفتوح.

وهؤلاء الشعراء الذين أنطقتهم الفتوح ينقسمون إلى قسمين:

أولهما: طائفة من الشعراء المغمورين، الذين لم يُذَعْ لهم شعر فيما قَبل اشتراكهم في المعارك، ولم يذع ذكرهم أيضا قبل ذلك. وقد وجدوا فرصتهم في الفتوح؛ حيث سارت بشعرهم الركبان، وسُجلت أسماؤهم في ذاكرة العرب. وظهرت أسماء جديدة طالعتنا في كتب التاريخ والمغازي ليست مشهورة أو مألوفة لدى الناس، كالأسود بن قطبة التميمي، ونافع ابنه وغيرهم. إذ كان هؤلاء الشعراء قليلي الحظ من الشهرة والذيوع، ولم يكن لهم في ماضيهم الفني رصيد يمكن لشخصياتهم الأدبية أن تبقى في الميدان نامية الجوانب، وأن يحافظ على ذواتهم من الانطماس والضياع، هذه المحافظة التي توفرت لشخصيات الشعراء القدامى[62].

وكذلك قدماء الشعراء الذين شاركوا في الفتوح من أمثال عبدة بن الطبيب، وأبي محجن الثقفي وغيرهم، أو نموذج آخر للشعراء المؤمنين الخلص الذين أنتجتهم الفتوحات، كالقَعْقاع بن عَمْرو التّميمي، [63] فضلا عن زِيّاد بْنِ حَنْظلةَ التّمِيمِيّ، وهو من فرسان الإسلام الشجعان، ومن أفصح الشعراء في الفتوحات الإسلامية آنذاك، وكان قد شارك في العديد من الفتوحات الإسلامية وفي قتال المرتدّين في عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق حيث يقول:[64]

فَنَحْنُ وَطَئْنا بالكَواظِمِ هُرْمُزًا وبِالثّنْيِ قَرْنَيْ قَارِنٍ بِالْجَوارِفِ[65]

ويقول أيضا: وكان ضمن كتيبة خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ مصورًا مسيرهم إلى اليرموك:

---

[61] النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية، ص: 163.
[62] النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية، ص: 175.
[63] النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية، ص: 44.
[64] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 4، ص: 115.
65 ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج: 1، ج: 4، ص: 249.

بَدَأْنَا نَجْمَعُ الصّفْرَيْنِ فَلَمْ نَدَعْ لِغَسّانَ أنْفًا فَوْقَ تِلْكَ المَنَاخِرِ
صَبِيحةَ صَاحَ الحَارِثَانِ ومَنْ بِهِ سِوَى نَفَرٍ نَجْتَذُّهُمْ بالبَوَاتِرِ
وَجِئْنَا إلَى بُصْرَى وَبُصْرَى مُقِيمَةٌ فَأَلْقَتْ إلَيْنَا بِالحَشَا والمَعَاذِرِ
فَضَضْنَا بِهَا أبْوابَهَا ثُمّ قَابَلَتْ بِنَا العِيسَ فِي اليَرْمُوكِ جَمْعَ العَشَائِرِ

والأسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ حين عَيّر عرب القبائل الذين انضموا للفرس بسبي المسلمين نساءهم وافتضاحهم فيقول:[66]

لَعَمْرِو أبِي بُجَيْرٍ حَيثُ صَارُوا ومَنْ آذاهُمُ يَوْمَ التَّنْيِ
لَقَدْ لاقَتْ سَرَاتُهُمُ افْتِضاحًا وفتنا بِالنّسَاءِ علَى المُطِيّ
آلا يا للرّجَالِ فإنّ جَهلًا بِكُمْ أنْ تَفْعَلُوا فِعْلَ الصّبِيّ

وعندما اجتمع العرب الموتورون[67] مع الفرس يوم أُلَّيس، ورأى المسلمون منهم نكالًا حتى صلى خالد صلاة الخوف، صور الأسْوَدُ بْنُ قُطْبَةَ التّمِيمِيّ هول المعركة، وبسالة المقاومين فأنشد قائلا:[68]

لَقِينَا يَوْمَ أُلّيْسٍ وأَمْغِي ويَوْمَ المَقْرِ آسَادَ النّهار
فَلَمْ أرَ مِثْلَهَا فَضلاَتِ حَرْبٍ أَشَدَّ على الجَحَاجِحَةِ الكبار
قَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعينَ أَلْفًا بَقِيّةُ حِزْبِهِمْ نُخَبُ الإسَارِ
سِوَى مَنْ لَيْسَ يُحْصَى مِنْ قَتِيلٍ ومَنْ قَدْ غَالَ جَوَلاَنَ الغُبَارِ

وكذلك صور عَاصِمٌ بْنُ عَمْرٍو كيف ثبت رجال جيش الفرس يوم العقيق لكنهم هُزموا فقال:[69]

أَلَمْ تَرَنَا غَدَاةَ المَقْرِ فِينَا بِأَنْهَارٍ وسُكّانُهَا جَهَارَا
قَتَلْنَاهُمْ بِهَا ثُمّ انْكَفَأْنَا إلَى فَمِ الفُرَاتِ بِمَا اسْتَجارَا
لَقِينَا مِنْ بَنِي الأَحْرَارِ فِيهَا فَوارِسَ مَا يُرِيدُونَ الفِرَارَا

ووصف عَاصِمٌ بْنُ عَمْرٍو بلوغ المسلمين الحيرة وإحاطتهم بقصورها فقال:

صَبّحْنَا الحِيرَةَ الرّوْحَاءَ خَيْلاً ورَجلًا فوق أَثْباجِ الرّكَابِ
حَصَرْنا فِي نَواحِيهَا قُصُورًا مُشْرِفةً كَأضْراسِ الكِلابِ[70]

ويقول عَاصِمٌ بْنُ عَمْرٍو في الطريق إلى الأنبار:

جَلَبْنَا الخَيْلَ والإبِلَ المَهارَى إلَى الأعْرَاضِ أعْرَاضِ السّوادِ
وَلَمْ تَرَ مِثْلَنا كَرَمًا ومَجْدًا وَلَمْ تَرَ مِثْلَنَا شِنْخَابُ هَادِ
شَحَنّا جانِبَ المَلْطَاطِ مِنّا بِجَمْعٍ لاَ يَزُولُ عَنِ البِعَادِ
لَزِمْنَا جانِبَ المَلْطَاطِ حتّى رَأيْنَا الزّرْعَ يُقْمَعُ بِالحَصَادِ
لِنَأْتِيَ مَعْشَرًا أَلّبُوا عَلَيْنا إلَى الأنْبارِ أَنْبارِ السّوادِ[71]

[66] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 1، ص: 937.
67 جمع موتور، يقال رجل موتور: من قُتل له قريب ولا قدرة له على أخذ ثأره.
[68] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج: 1، ص: 363.
[69] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج:4، ص:247.
[70] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:2، ص:275.
[71] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج:4، ص:933.

وهذا زُهَيْرٌ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ يَنسب هذا الشرف إلى نفسه، حيث لا تُذكر القادسية إلا وتذكر قبيلة بَجيلَة وبيت الشعر الذي أنشده زهير إذ يقول:

أَنَا زُهَيْرُ وابْنُ عَبْدِ شَمْسٍ أَرْدَيْتُ بِالسّيْفِ عَظِيمَ الفُرْسِ

رُسْتُمَ ذَا النّخْوَةِ والدّمَقْسِ[72] أَطَعْتُ رَبّي وَشَفَيتُ نَفْسِي[73]

الخاتمة:

وخلاصة القول أن شعر الفخر والرثاء قد اكتسبا عند الشعراء الفاتحين والمجاهدين معاني جديدة، اختلفت عما كان معروفا عنهما في العصر الجاهلي، بحيث لم يعد الفخر تغنيا بالشجاعة والثأر والانتقام، وإنما أصبح تفاخرا بالبطولة والتفاني في الجهاد في سبيل الله، كما خرج الرثاء عن النمطية التي كان عليها من خلال ما شاع فيه من آثار التعاليم الدينية ومظاهر الإيمان بالموت والاستبشار بالجنة، كما زاد لون آخر هو شعر الحنين للأوطان والأهل من خلال الحياة التي يعيشها الفاتحون في بيئة أخرى جديدة عنهم، وبعيدة عن أوطانهم وأحبتهم، وفي هذه الأشعار يتشوق الشعراء إلى الموطن والأهل مما يحرك فيه لواعج البعد والفِراق، وأحاسيس الشوق والحنين.

كما يظهر أن شعر الفتوح قد ارتقى بصاحبه بسبب الفكرة الإسلامية، ولهذا ارتسمت في شعر الفتوح لوحات إيمانية سامية مِلؤها الإيمان العميق والثقة في الله والإيمان بالنصر، وبما أن الفكرة التي جعلت الشاعر يقوله هي تبليغ الحق والدفاع عن الإسلام وهداية الناس، فإن هذا كان سببا في أن يُطلى بالمُسحة الدينية.

وظهر أيضا الوصف لما رآه الفاتحون في البلاد البعيدة مما لم يألفوه في بلادهم من قصور وقلاع وكنائس وغيرها. كما ظهر رثاء الأعضاء واحتسابها عند الله، ووصف الطبيعة والحيوانات والأبنية.

والقصر والإيجاز هو الغالب والسائد على أشعار الفتوح حيث تقلّ وتندر القصائد المسهبة والمطولة، فهو بذلك شعر اللمحات السريعة والمواقف الخاطفة.

وخلاصة القول فإن شعر الفتوح يتميز بأسلوبه البطولي والحماسي، حيث يصف المشاهد القتالية وبطولات المجاهدين أثناء المعارك، ويعبر فيه الشعراء عن الثبات والشجاعة والتضحية التي يُظهرها المجاهدون في ساحات المعارك، ويمجّدون بطولاتهم وتضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، ورفع دين الله.

ولست أزعم أني قد أتيت بجديد في هذا البحث، فكل ما في الأمر أنني حاولت أن أجمع ما تفرق في البحوث لأبين الصورة جلية واضحة، وأستخرج منه بعض خصائصه وسماته، وأذكر بعض مضامينه المتغلغلة في ثناياه، فأمعنت النظر فيه فتبين لي من خلاله أنه صورة حقيقية لفترة مضيئة من تاريخ الإسلام والمسلمين، من حيث كشفه لحقبة معينة وهي فترة الفتوح، إذ يبين النظم الاجتماعية والإدارية، والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين، وبينهم وبين حكامهم وأمرائهم، كما يصور الانطباعات النفسية للفاتحين، ويوضح صدى هذه الأحداث على نفوسهم.

قائمة المصادر والمراجع:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، لبنان، ط: 2، 1387 ه.

أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط: 1، دار إحياء الكتب العربية، سوريا.

أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 2، س: 1995.

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2، س: 1424 هـ

[72] نوعٌ من نسيج الحرير أو الدّيباج المقصّب والمذهّب.

[73] البلاذري، فتوح البلدان، ج: 1، ص: 262.

أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب.

أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، المطبعة المصرية، الأزهر

إسماعيل بن عمرو ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، 2003.

زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في صدر الإسلام إلى أبي فراس الحمداني.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: 20، س: 2002.

النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، 2005.